من القصص الافريقي

مسألة ذوق

بقلم : اليكس لاكوما

ترجمة : عاصم إسماعيل

كانت الشمس قد مالت الى الغرب تماما بحيث ان الغيوم الخفيفة المعلقة فوق الافق الاشعث احاطتها هالة صفراء كصفار بيضة مشطور. نهض الخادم الصيني بعد أن نفخ النار تحت الصفيحة المدورة وقال : "المفروض ان تغلي الان " . كانت الصفيحة موضوعة بتوازن فوق قطعتين من الطوب وحصاة ملساء . لقد اشعلنا النار جيدا من اجل صنع بعض القهوة وها نحن نراقب الماء في الصفيحة بلهفة النساء عند الولادة .

قال الخادم الصيني عندما ظهرت الفقاعات على سطح الماء : "ها هي ذي" انتظر غليان الماء ثم تناول علبة صغيرة مسحوقة من الجيب الجانبي لسترته الجلدية الممزقة ، وفتحها ثم صب القهوة المسحوقة في الصفيحة

كان رجلا قصيرا . ذا شعر محعد يتخلله الشيب ، وذا وجه هادئ عريض ينم عن الصبر ، وكأنه قد تعود على تنفيذ الاعمال ببطء وبدقة وبالشكل الصحيح. غير ان عينيه كانتا بيضويتين ، غامقتين ، وشرقاوين كثيرتي الحركة كزوجين من الصراصر.

قال ناصحا : "سنتركها تستصفي بعض الوقت" . ثم اعاد العلبة مكانها واخرج خرقة قديمة من جيب اخر، ولفها حول يده ثم رفع الاناء من على النار باعتناء ووضعه بعناية في الرمل القريب من الطابوق.

كنا قد انتهينا مؤخرا من عمل للسكك الحديدية وقد نصبنا خيمتنا على بعد بضع ياردات من السد الترابي وبعيدين بعض الشيء عن بقايا رصيف قديم. كانت الواح الدائرة الحديدية المموجة ما تزال قائمة. تساقط بعضها مخلفا فجوات ويعلوها الصدأ ونسيج العنكبوت ، كما ان المارة كانوا قد ملأوا الارضية غير المسقفة بالاقذار وكانت بعض الاماكن تغطيها الاعشاب: الحاجز المصنوع من الاسمنت ما يزال موجودا غير انه كان متصدعا وتغطيه الترسبات وكأنه لافتة استقبال الى مدينة الاشباح. اخرج الخادم الصيني علب الحليب المركز الفارغة التي كنا نستعملها كأكواب، ووضعها هناك جلست على احدى فلنكات سكة الحديد القديمة وانتظرت طقوس صب القهوة كي تبدأ.

لم تبتدئ في الحال رغم ان الخادم الصيني كان مقرفصا ويده المغطاة بالخرقة معلقة فوق الصفيحة ، على وشك ان تلتقطها لكنه كان دون حراك. فقط كان يجلس كذلك يراقب شيئا بعيدا.

كانت الاغصان تصك وتتحرك خلفي وسقط ظل طويل لانسان على الفسحة الصغيرة. نظرت الى الخلف والى الاعلى. لقد خرج من بين الخضرة وكان نحيلا وقصير القامة وذا وجه ابيض شاحب تغطيه جذامة الحنطة الذهبية كانت خطوط الغبار واضحة على التجاعيد المحيطة بفمه وتحت عينيه وفي رقبته وكان شعره اشعث كثيفا وطويلا ، يمتد حتى رقبته وحول صدغيه. كان يرتدي سروالا باهت اللون قذرا ومطويا عند الاسفل وسترة جلدية ممزقة. وقف عند حافة الفسحة ، منتظر بتردد ، ناقلا نظراته بيني وبين الخادم الصيني ثم ارتكزت نظراته علي ثانية مسح ظهر يده الداكنة بفمه.

ثم قال بتردد : "لقد شممت القهوة. اامل ان لا تنزعجوا." قال الخادم الصيني بابتسامته الهادئة :"ان اراك هنا، اعتقد بانني لا اكترث ايضا." ابتسم معي ."انت تعتقد باننا نستطيع ان نستقبل ضيفا؟"

—"اعتقد نستطيع ان نوفر شيئا من الديك الرومي والفاصوليا الخضراء؟" اوما الخادم الصيني براسه الى الغريب قائلا : "اجلس، يا صديقي" كنا على وشك ان نبدأ العشاء.

تمتم الشخص الغريب بشيء من الاحراج وتوجه الى فلنكه السكة الحديدية ودفع صخرة بحذائه وجلس. لم يقل شيئا ، بل راقب الخادم الصيني وهو يجهز صفيحة حليب نظيفة اخرى، ورفع الصفيحة من على النار وصب القهوة في الاكواب.

— "اخدم نفسك بنفسك ايها الرجل انها ليست مثل حفلة حديقة ببيت رئيس البلدية بالضبط." تناول الشاب كوبه بعناية ونفخ البخار. رشف الخادم الصيني القهوة بضجيج وقال: "ينقصنا الان بعض الخبز ، لا شيء يضاهي الخبز مع القهوة."

ثم قال الشاب الابيض :"لحم الخنزير الحار افضل".

قال الشاب الابيض : (صوصج) .

— (هوه) .

— "صوصج. الصوصج مع القهوة"

ثم قال الخادم الصيني :

— "اوه ، نعم. سمعت بذلك".

ثم سال : "اانت ذاهب الى مكان ما يا بيوض؟"

— "مدينة كيب. ربما احصل على عمل في سفينة واتوجه الى امريكا"

قلت : "الكثير من الناس يرغبون الذهاب الى هناك".

شرب الشاب الابيض القهوة ثم قال :"نعم، لقد سمعت بانه يوجد هناك الكثير من المال والطعام".

قال الخادم الصيني" ما دمنا نتحدث عن الطعام ، فلقد رايت صورة في كتاب مرة، في كتاب امريكي ، عن الطعام هناك. كمية كبيرة من الدجاج المقلي، والذرة، والفطر، والفاصوليا ، والمرق، وشرائح البطاطا المقلية . كانت الصورة بالالوان ، ايضا".

قلت بسخرية :"ناولني لحم الخروف".

قال الشاب الابيض وهو يدخل النقاش بحرارة :"دعني فقط اصل الى مثل ذلك وسوف اأكل حتى انفجر".

رشف الخادم الصيني القهوة وقال :"عملت نادلا في احدى المرات عندما كنت صغير، في احدى تلك البارات الكبيرة. لو رأيتم كيف كان كل اولئك الاوغاد ياكلون. كانوا يجلسون فقط ويدفعون بالاكل الى بطونهم بعض الاكلات الفرنسية ايضا، فطيرة (الباتي كراس) او شيء يشبهها."

قلت :"اتذكر عندما ذهبنا لنشرب وحصلنا على عشرة ايام؟ اكلنا الذرة والفاصولياء حتى خرجت من اذاننا!"

قال الخادم الصيني بتهكم : "اتمنى ان اجلس في احد المطاعم الانيقة في احد الايام وان اأكل بطريقتي الخاصة من كوم الديك الرومي، والبطاطا المقلية، وسلاطة البنجر، وبقايا طعام الملائكة. ثم المشروب الحلو والسكائر في النهاية."

قال الشاب الابيض :"بحق الجحيم . انها مسالة ذوق كلها . بعض الناس يحبون الدجاج ، والبعض الاخر يحبون رؤوس الغنم والفاصولياء!"

قال الخادم الصيني متجهما :"مسالة ذوق ، طز ، انها مسالة مال، يا صديقي. عملت ستة اشهر في ذلك المطعم ولم اسمع احدا يطلب راس الغنم والفاصولياء!"

ساله الرجل الابيض بعد ان رشف نهاية القهوة :"هل سمعت بالرجل الذى دخل احد تلك المطاعم الكبيرة؟ جلس على المائدة ثم اخرج عدة ساندويشات من جعبته ووضعها امامه. ثم نادى النادل وطلب كاسا من الماء فقط. عندما جلب النادل الماء، ساله الشخص : لماذا لا تعزف الفرقة الموسيقية في مطعمكم؟"

ضحكنا جميعا وكاد الخادم الصيني ان يختنق من شدة الضحك. سعل بشدة ثم قال : "شخص اخر دخل مطعما وطلب صوصج وعصيده — وعندما جاءه النادل بما طلب ، نظر ثم قال :"يا عزيزي ، جلبت لي اناء مصدعا". فاجابه النادل : "بحق الجحيم! ذلك ليس تصدعا . انه الصوصج".

بعد ان ضحكنا على ذلك، نظر الخادم الصيني الى السماء من ناحية الغرب . كانت الغيوم معلقة مثل قطع قماش مبقعة بالدم بمحاذاة الافق كان النسيم يحرك الاغصان ، وبعيدا خلف سكة الحديد كان ثمة كلب ينبح باصوات عالية.

قال الخادم الصيني : "هنالك قطار حمل يعبر من هنا في حدود الساعة السابعة مساء. سنساعد الرجل الابيض هنا، على الصعود اليه، لكي يذهب الى مدينة كيب . اعتقد لدينا وقت يكفي لتناول قطع من لحم الخنزير وبعض البصل." ثم التفت الى الرجل الابيض :

"حالما نتناول بعض الحلوى سوف نذهب الى اسفل الخط. يوجد منعطف لها هناك ، وهو افضل مكان للقفز الى القطار. سنريك ذلك."

لوح بيده نحوى باهتمام وقال : "قدم لنا، يا جون!".

صببت آخر ما تبقى من القهوة في الصفائح. كانت النار قد خمدت واصبحت جمرات مكونة. فتش الرجل الابيض في جيب سترته الجلدية ووجد علبة سكاير مصدعة. كان فيها ثلاثة سكائر فقط. وناولنا منها. اخذ كل منا سيكارة ،واخرج الخادم الصيني قطعة نار واشعلنا السكائر بها

قال وهو يتفحص توهج نهاية السيكارة :"هذه سيكارة جيدة."

عندما انتهت السكائر والقهوة كانت الشمس قد اختفت تماما وغطى الظلام والظلال المعتمة ذات اللون الارجواني الارض. كانت نهايات الاشجار الداكنة تبدو وكانها مجموعة من العفاريت والاشباح.

مشينا بمحاذاة السكة الترابية مساء ، خلف الرصيف المهدم، وهيكل بناية المحطة الذى يواجه السماء وكانه صخرة قبر انتهكت قدسيته . وبعيدا عن هناك، سمعنا صفارة القطار.

خاطب الخادم الصيني الرجل الابيض قائلا :"هذا هو المكان، انه قطار حمل طويل ، وعندما يدخل المنحنى ، سوف لن يراك سائق القطار ولن يراك ايضا مراقب السير في عربة الحراس. عليك ان تقفز عندما يختفي عن نظرك محرك القاطرة . سوف تتسلق القاطرة التل ببطء، وتلك هي فرصتك الجيدة. فقط انتظر لحين أن اخبرك. بحق الجحيم، ذلك الصوت يشبه سكب مشروب! لمعت اسنانه اذ حكها في فم الظلام. مد الرجل الابيض يده فصافحه الخادم الصيني ، وبعدها صافحته انا ايضا.

قال الرجل الابيض :"شكرا للعشاء ، ايها الاولاد."

قلت :" عد في اى وقت وسوف ندبر غطاء مائدة". انتظرنا عند الاشجار في جانب الرصيف بينما تعالى ازيز قاطرة الحمل وارتفع فحيحها وهي تصعد. وكان مصباحها الكبير يقطع دائرة صفراء كبيرة في الظلام. انسحبنا الى الوراء بينما كان القطار يمر من امامنا، وهو يصفر ويقرقع. مرت عربة ، ثم عربتان للصناديق ، ثم عربات الفحم، ثم عربة مسطحة ، وعربة صناديق اخرى. اختفى محرك القطار عن النظر.

قال الخادم الصيني :"الان" ثم دفعه الى الامام. بقينا قرب القطار ونحن نسمع فرقعة العجلات تعبر. ثم قال الخادم الصيني : "اصعد عربة صناديق الفحم القادمة. انها بطيئة.

وحظا سعيدا ، يا صديق."

وصلت عربة الفحم وتقدم الرجل الابيض ، وهو يراقب القبضة الحديدية في نهايتها وعندما اقتربت منه، تقدم نحوها وقفز ثم تعلق بها، ووجد موضعا لقدمه، وهو يبتعد عنا ببطء.

راقبناه معلقا هنالك ، ثم تقدم نحو زاوية العربة وقفز الى الاعلى. ونحن نراقب القطار يمضي ، رأيناه ممتطيا حافة العربة وقد ارتفعت يده للتحية. رفعنا ايدينا ايضا. قال الخادم الصيني: "بحق الجحيم! لماذا لا تعزف الفرقة الموسيقية؟"

(١) لقد ولد الكس لاكوما في مدينة كيب في عام ١٩٢٥ ، ثم غادر جنوب افريقيا مع عائلته عام ١٩٦٦. كان قد منع عليه مغادرة البلاد قبل ذلك بسبب نشاطه السياسي، من قبل حكومة جنوب افريقيا. وفي عام ١٩٦٢ وضع تحت الاقامة الجبرية لمدة خمس سنوات. له مجموعة بعنوان (الحبل ذو الثلاث طيات) عام ١٩٦٤ و (أرض الحجر) عام ١٩٦٧ و (نزهة في الليل وقصص اخرى) عام ١٩٦٧ ، وهذه القصة هي من المجموعة الاخيرة.

الجائزة الأولى لحمزاتوف

حصل الشاعر السوفياتي الكبير رسول حمزاتوف على الجائزة الاولى في المسابقة الدولية للشعر التي جرت بمبادرة مركز ابحاث "الشعر الايطالي في القرن العشرين" هذا وكان قد شارك في هذه المسابقة الشعرية ٣١٣ شاعرا من دول العالم.

إضاءة

"ان من افحش الاخطاء التي يكلف ارتكابها ثمنا باهظا ان يحاول المرء التملص من واحدة من هذه المهام "غير الرائقة" او الصعبة في حقل ما من حقول العمل ، وان يتسيح ضدها . يجب ان ندرس ونتعلم كيف نسيطر على جميع ميادين العمل والنشاط دون اى استثناء ، وكيف نتغلب على جميع المصاعب وجميع العادات والتقاليد والشياطين البرجوازية في كل مكان ، ووضع المسالة بشكل آخر ليس الا تفاهة وصبيانية".

— لينين